1

الإسلام والتعددية الحزبية

تأليف فضيلة الشيخ

أبي عبد الله محمد بن سعيد رسلان

حفظه الله تعالى



دار زاد الآخرة


الإسلام
والتعددية الحزبية

الطبعة الأولى : ١٤٣٢ - ٢٠١١



مدينة نصر - القاهرة - جمهورية مصر العربية
جوال: ٠٠٢٠١٨٣٦٢٠٨٦٤
dar_elatharia@yahoo.fr - dar_elatharia1@hotmail.com



٦ نهج بريطانيا - عنابة - الجزائر
جوال : ٠٥٥٠٥٥٦٦٢٥
lemloumourad@hotmail.fr



جمهورية مصر العربية - أشمون - سبك الأحد
جوال : ٠١٨٢٤١٨١٨٥ - ٠١٠٣٥٠٣٥٦٣ - ٠٤٨٣٤٢٢٣٧٢
Abou_mohammed99@hotmail.com

الإسلام والتعددية الحزبية

تأليف

فضيلة الشيخ

أبي عبد الله محمد بن سعيد رسلان

حفظه الله تعالى







بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النِّسَاء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾

يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠- ٧١].

- **أَمَّا بَعْدُ:**

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

- **أَمَّا بَعْدُ:**

فَقَدِيمًا قِيلَ: الذَّاكِرَةُ مَلَكَةٌ مُسْتَبِدَّةٌ، وَلَيْسَ يَدْرِي إِلَّا اللَّهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- لِمَاذَا تَسْتَدْعِي الذَّاكِرَةُ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ، لَيْلَةَ الثَّانِي مِنْ شَهْرِ يَنَايِرَ سَنَةَ (١٤٩٢)، وَتَسْتَدْعِي صَبَاحَ ذَلِكَ الْيَوْمِ، صَبَاحَ الذُّلِّ فِي غَرْنَاطَةَ؟

لِمَاذَا تُلِحُّ عَلَى الذَّاكِرَةِ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ ذِكْرَى مُلُوكِ الطَّوَائِفِ، بِعَجْزِهِمْ وَخِيَانَاتِهِمْ، وَاسْتِعَانَتِهِمْ

بِالنَّصَارَى فِي الشَّمَالِ، عَلَى الْمَمَالِكِ الْمُسْلِمَةِ وَعَلَى الْجُيُوشِ الْمُسْلِمَةِ مِنْ إِخْوَانِهِمْ؟

لِمَاذَا تَسْتَدْعِي الذَّاكِرَةُ ذِكْرَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الصَّغِيرِ، وَهُوَ آخِرُ الْمُلُوكِ فِي الْأَنْدَلُسِ، وَآخِرُ الْمُلُوكِ فِي غَرْنَاطَةَ؟

تَسْتَدْعِي الذَّاكِرَةُ مَوْقِفَهُ، وَهُوَ يَقْتَرِبُ مِنْ مَقَامِ الْمَلِكِ النَّصْرَانِيِّ الصَّلِيبِيِّ (فِرْنَانْدُو) الَّذِي كَانَ يَنْتَظِرُهُ عَلَى جَوَادِهِ، وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ الصَّغِيرُ يَتَرَجَّلُ عَنْ جَوَادِهِ، وَيَسْعَى إِلَيْهِ مَاشِيًا عَلَى قَدَمَيْهِ، لِيُقَدِّمَ إِلَيْهِ خَاتَمَهُ الذَّهَبِيَّ، الَّذِي يَخْتِمُ بِهِ الْمَرَاسِيمَ وَالْقَرَارَاتِ، وَيُقَدِّمَ لَهُ مَفَاتِيحَ الْقَلْعَةِ وَالْقَصْرِ، وَهُوَ يَقُولُ: هَذِهِ هِيَ مَفَاتِيحُ الْجَنَّةِ، يُقَدِّمُهَا لَكَ خُوَيْدِمُكَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، ثُمَّ يَمْضِي إِلَى مَنْفَاهُ.

ثُمَّ يَجْهَشُ بِالْبُكَاءِ فَيَسْمَعُ قَوْلَ أُمِّهِ -الْمَلِكَةِ

عَائِشَةَ- تَقُولُ لَهُ: ابْكِ كَالنِّسَاءِ عَلَى مُلْكٍ لَمْ تَسْتَطِعِ الْحِفَاظَ عَلَيْهِ كَالرِّجَالِ!.

الذَّاكِرَةُ مَلَكَةٌ مُسْتَبِدَّةٌ، لَا يَدْرِي إِلَّا اللَّهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- لِمَاذَا تَسْتَدْعِي الذَّاكِرَةُ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ، ذِكْرَى الْمُورِسْكِيِّينَ، وَالْمُورِسْكِيُّونَ مُفْرَدُهَا (مُورِسْكِيٌّ).

وَالْمُورُو: هُوَ الْمُسْلِمُ بِلُغَتِهِمْ، وَلَكِنَّهُ أُلْحِقَ بِهِ مَا يُصَغِّرُهُ، فَمَعْنَاهَا إِذَنْ: الْمُسْلِمُ الصَّغِيرُ، أَوِ الْمُسْلِمُ الْحَقِيرُ، أَوِ الْمُسْلِمُ الْوَضِيعُ.

الْمُورِسْكِيُّونَ هَؤُلَاءِ: هُمُ الَّذِينَ تَمَّتِ الْمُعَاهَدَةُ مُتَضَمِّنَةً بُنُودًا تَخُصُّهُمْ، هَؤُلَاءِ: مَا زَالَ ضَغْطُ الصَّلِيبِيِّينَ عَلَيْهِمْ بَعْدَ الْجَلَاءِ، حَتَّى صَارُوا إِلَى دِينِ النَّصْرَانِيَّةِ، وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ يَرْحَمْهُمُ النَّصَارَى، فَعُقِدَتْ

لَهُمْ مَحَاكِمُ التَّفْتِيشِ، بُدِّلَتِ الْمِلَّةُ، وَغُيِّرَتِ الدِّيَانَةُ، وَصَارَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى دِينِ الْكُفْرِ، وَمَعَ ذَلِكَ كُلِّهِ لَمْ يُرْحَمُوا.

وَفِي التَّارِيخِ عِبْرَةٌ، وَالسَّعِيدُ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ، وَتَذَكَّرُوا مِنَ الْأَنْدَلُسِ الْإِبَادَةَ، هَذَا إِذَا جَعَلَ اللَّهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- لِلنَّاسِ بَقِيَّةً مِنْ عَقْلٍ، لِأَنَّهُ لَا يَعْصِمُهُمْ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ إِلَّا رَحْمَةُ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ تَشْمَلُهُمْ، وَإِلَّا عِنَايَتُهُ تَعُمُّهُمْ، يَهْدِيهِمُ اللَّهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- إِلَى سَبِيلِ الرَّشَادِ.

وَإِنَّ مِنْ دَلَائِلِ نُبُوَّةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، الْحَدِيثَ الَّذِي أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ الْهَرْجَ»** قَالُوا: وَمَا الْهَرْجُ؟، قَالَ:

«الْقَتْلُ : إِنَّهُ لَيْسَ بِقَتْلِكُمُ الْمُشْرِكِينَ ، وَلَكِنْ قَتْلُ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ، حَتَّى يَقْتُلَ الرَّجُلُ أَخَاهُ ، وَحَتَّى يَقْتُلَ الرَّجُلُ جَارَهُ ، وَيَقْتُلَ عَمَّهُ ، وَيَقْتُلَ ابْنَ عَمِّهِ» قَالُوا : وَمَعَنَا عُقُولُنَا يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ : «إِنَّهُ لَتُنْزَعُ عُقُولُ أَهْلِ ذَلِكَ الزَّمَانِ ، وَيُخَلَّفُ لَهُ هَبَاءٌ مِنَ النَّاسِ ، يَحْسَبُ أَكْثَرُهُمْ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ وَلَيْسُوا عَلَى شَيْءٍ»[1].

---

(١) أخرجه أحمد (١٩٤٩٢ ، ١٩٧١٧)، وابن أبي شيبة في المصنف (٣٨٥٣٩)، والحاكم (٤/ ٥١٩-٥٢٠)، والبزار (٣٠٤٧)، ولفظ أحمد: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : «إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ الْهَرْجَ» قَالُوا : وَمَا الْهَرْجُ؟ قَالَ : «الْقَتْلُ» ، قَالُوا : أَكْثَرُ مِمَّا نَقْتُلُ؟ إِنَّا لَنَقْتُلُ كُلَّ عَامٍ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ أَلْفًا ، قَالَ : «إِنَّهُ لَيْسَ بِقَتْلِكُمُ الْمُشْرِكِينَ ، وَلَكِنْ قَتْلُ بَعْضِكُمْ بَعْضًا» قَالُوا : وَمَعَنَا عُقُولُنَا يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ : «إِنَّهُ لَتُنْزَعُ عُقُولُ أَهْلِ ذَلِكَ الزَّمَانِ ، وَيُخَلَّفُ لَهُ هَبَاءٌ مِنَ النَّاسِ ، يَحْسَبُ أَكْثَرُهُمْ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ ، وَلَيْسُوا عَلَى شَيْءٍ» قَالَ عَفَّانُ فِي حَدِيثِهِ : قَالَ أَبُو مُوسَى : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أَجِدُ لِي وَلَكُمْ مِنْهَا مَخْرَجًا إِنْ أَدْرَكَتْنِي وَإِيَّاكُمْ إِلَّا أَنْ نَخْرُجَ مِنْهَا كَمَا دَخَلْنَا فِيهَا لَمْ نُصِبْ مِنْهَا دَمًا وَلَا مَالًا .

إِذَا مَنَّ اللَّهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- بِالْعَقِلِ عَلَى عَبْدٍ فَقَدْ أَعْظَمَ لَهُ الْمِنَّةَ.

وَقَدْ لَقِيَ الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ ابْنَ الْمُقَفَّعِ، فَفَاوَضَهُ وَكَلَّمَهُ، فَلَمَّا افْتَرَقَا سُئِلَ كُلٌّ عَنْ كُلٍّ؟ فَكَانَ الْجَوَابُ هَكَذَا:

قَالَ ابْنُ الْمُقَفَّعِ: رَأَيْتُ رَجُلًا -يَعْنِي: الْخَلِيلَ بْنَ أَحْمَدَ-، عَقْلُهُ أَكْبَرُ مِنْ عِلْمِهِ.

وَسُئِلَ الْخَلِيلُ عَنِ ابْنِ الْمُقَفَّعِ؟ فَقَالَ: رَأَيْتُ رَجُلًا عِلْمُهُ أَكْبَرُ مِنْ عَقْلِهِ، وَيُوشِكُ ذَلِكَ أَنْ يَقْتُلَهُ، فَقُتِلَ بَعْدُ عَلَى الزَّنْدَقَةِ[1].

قَدْ يَكُونُ عَقْلُ الرَّجُلِ أَكْبَرَ مِنْ عِلْمِهِ، فَلَا يَضُرُّهُ بَلْ يَنْفَعُهُ، وَقَدْ يَكُونُ عِلْمُهُ أَكْبَرَ مِنْ عَقْلِهِ، فَهَذَا يَضُرُّهُ

---

(١) انظر: «سير أعلام النبلاء» (٦/ ٢٠٩).

وَلَا يَنْفَعُهُ.

«فَالْعِلْمَ الْعِلْمَ أَيُّهَا الشَّبَابُ!! لَا يُلْهِيَنَّكُمْ عَنْهُ سِمْسَارُ أَحْزَابٍ يَنْفُخُ فِي مِيزَابٍ، وَلَا دَاعِيَةُ انْتِخَابٍ فِي الْمَجَامِعِ صَخَّابٌ، وَلَا يَلْفِتَنَّكُمْ عَنْهُ مُعَلِّلٌ بِسَرَابٍ، وَلَا حَاوٍ بِجِرَابٍ، وَلَا عَاوٍ فِي خَرَابٍ، يَأْتَمُّ بِغُرَابٍ، وَلَا يَفْتِنَنَّكُمْ عَنْهُ مُنْزَوٍ فِي خَنْقَةٍ، وَلَا مُلْتَوٍ فِي زَنْقَةٍ، وَلَا جَالِسٌ فِي سَابَاطٍ عَلَى بِسَاطٍ، يُحَاكِي فِيكُمْ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الْأَسْبَاطِ، فَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ مُشَعْوِذٌ خَلَّابٌ، وَسَاحِرٌ كَذَّابٌ، إِنَّكُمْ إِنْ أَطَعْتُمْ هَؤُلَاءِ الْغُوَاةَ، وَانصَعْتُمْ إِلَى هَؤُلَاءِ الْعُوَاةِ، خَسِرْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَخَسِرَكُمْ وَطَنُكُمْ، وَسَتَنْدَمُونَ يَوْمَ يَجْنِي الزَّارِعُونَ مَا حَصَدُوا، وَلَاتَ سَاعَةَ مَنْدَمٍ!»[1].

---

(١) آثار البشير الإبراهيمي (٢/ ٣٥٠).

مَنِ الَّذِي يُفْتِي إِذَا جَاءَتِ النَّوَازِلُ السِّيَاسِيَّةُ؟

الْفَتْوَى فِي النَّوَازِلِ السِّيَاسِيَّةِ قَاصِرَةٌ عَلَى الْمُجْتَهِدِ، قَالَ رَبُّنَا -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ-: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ [النساء: الآية ٨٣].

قَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الْعَالِمُ بِكِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ وَأَقْوَالِ الصَّحَابَةِ، فَهُوَ الْمُجْتَهِدُ فِي النَّوَازِلِ»(١).

فَهَذَا النَّوْعُ الَّذِي يَسُوغُ لَهُمُ الْإِفْتَاءُ، وَيَسُوغُ اسْتِفْتَاؤُهُمْ، وَيَتَأَدَّى بِهِمْ فَرْضُ الِاجْتِهَادِ، وَهُمُ الَّذِينَ قَالَ فِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم: «إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ

---

(١) «إعلام الموقعين» (٤/ ٢١٢).

لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِئَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا»[١].

لَا يُفْتِي فِي دَقَائِقِ الْجِهَادِ، إِلَّا الْمُجْتَهِدُ، وَيَحْرُمُ اسْتِفْتَاءُ طَلَبَةِ الْعِلْمِ فِي تِلْكَ الدَّقَائِقِ، فَضْلًا عَنْ غَيْرِهِمْ مِمَّنْ زَعَمُوا أَنَّهُمْ فُقَهَاءُ الْوَاقِعِ.

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَفِي الْجُمْلَةِ: فَالْبَحْثُ فِي هَذِهِ الدَّقَائِقِ -يَعْنِي: مَا يَتَعَلَّقُ بِأَحْكَامِ الْجِهَادِ- مِنْ وَظِيفَةِ خَوَاصِّ أَهْلِ الْعِلْمِ»[٢].

الْبَحْثُ فِي هَذِهِ الدَّقَائِقِ مِنْ خَصَائِصِ وَوَظِيفَةِ

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٢٩٣)، والحاكم (٤/ ٥٢١)، والطبراني في الأوسط (٦٥٢٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٨٧٤).

(٢) «منهاج السنة النبوية» (٤/ ٢٩٥).

خَوَاصِّ أَهْلِ الْعِلْمِ، مَنْ أَفْتَى فِيهَا مِمَّنْ لَيْسَ فِي رُتْبَةِ الْعَالِمِ الْمُجْتَهِدِ، أَفْسَدَ الْبِلَادَ وَأَرْهَقَ الْعِبَادَ، لِأَنَّ الْعَالِمَ يَشُمُّ الْفِتْنَةَ قَبْلَ وُقُوعِهَا، وَأَمَّا غَيْرُهُ فَلَا يَعْرِفُهَا إِلَّا إِذَا وَقَعَ فِيهَا، وَقَدْ لَا يَعْرِفُهَا.

قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِنَّ هَذِهِ الْفِتْنَةَ إِذَا أَقْبَلَتْ عَرَفَهَا كُلُّ عَالِمٍ، وَإِذَا أَدْبَرَتْ عَرَفَهَا كُلُّ جَاهِلٍ»[1].

يَنْبَغِي أَنْ يُعَادَ فِي النَّوَازِلِ إِلَى أَهْلِ الِاجْتِهَادِ الَّذِينَ يُحْسِنُونَ الِاسْتِنْبَاطَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَيُحْسِنُونَ النَّظَرَ فِي سُنَّةِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ ﷺ.

قَالَ ابْنُ بَادِيسَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَإِنَّنَا اخْتَرْنَا الْخُلَّةَ الدِّينِيَّةَ

---

(١) أخرجه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» برقم (٢٤٠٧).

عَلَى غَيْرِهَا عَنْ عِلْمٍ وَبَصِيرَةٍ، وَلَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَدْخُلَ الْمَيْدَانَ السِّيَاسِيَّ لَدَخَلْنَاهُ جِهَارًا، وَلَقُدْنَا الْأُمَّةَ كُلَّهَا لِلْمُطَالَبَةِ بِحُقُوقِهَا، وَلَكَانَ أَسْهَلَ شَيْءٍ عَلَيْنَا أَنْ نَسِيرَ بِهَا عَلَى مَا نَرْسُمُهُ لَهَا، وَأَنْ نَبْلُغَ مِنْ نُفُوسِهَا إِلَى أَقْصَى غَايَاتِ التَّأْثِيرِ عَلَيْهَا، فَإِنَّ مِمَّا نَعْلَمُ وَلَا يَخْفَى عَلَى غَيْرِنَا، أَنَّ الْقَائِدَ الَّذِي يَقُولُ لِأُمَّتِهِ: إِنَّكِ مَظْلُومَةٌ فِي حُقُوقِكِ، وَإِنَّنِي أُرِيدُ إِيصَالَكِ إِلَيْهَا، يَجِدُ مِنْهَا مَا لَا يَجِدُ مَنْ يَقُولُ لَهَا: إِنَّكِ ضَالَّةٌ عَنْ أُصُولِ دِينِكِ، وَإِنَّنِي أُرِيدُ هِدَايَتَكِ، فَذَلِكَ تُلَبِّيهِ كُلُّهَا، وَهَذَا يُقَاوِمُهُ مُعْظَمُهَا أَوْ شَطْرُهَا»[1].

قَالَ الْإِبْرَاهِيمِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «أُوصِيكُمْ بِالِابْتِعَادِ عَنْ هَذِهِ الْحِزْبِيَّاتِ، الَّتِي نَجَمَ بِالشَّرِّ نَاجِمُهَا، وَهَجَمَ

---

(١) الصراط السوي (رقم/ ١٥- رمضان ١٣٥٢هـ).

يفْتِكَ بِالْخَيْرِ وَالْعِلْمِ هَاجِمُهَا، وَسَجَمَ عَلَى الْوَطَنِ بِالْمِلْحِ الْأُجَاجِ سَاجِمُهَا، إِنَّ هَذِهِ الْأَحْزَابَ كَالْمِيزَابِ، جَمَعَ الْمَاءَ كَدَرًا، وَفَرَّقَهُ هَدَرًا، فَلَا الزُّلَالَ جَمَعَ، وَلَا الْأَرْضَ نَفَعَ»(١).

وَقَالَ ابْنُ خَلْدُونَ -غَفَرَ اللَّهُ لَهُ- يُحَذِّرُ مِنْ مَسَالِكِ الثُّوَّارِ: «وَمِنْ هَذَا الْبَابِ أَحْوَالُ الثُّوَّارِ الْقَائِمِينَ بِتَغْيِيرِ الْمُنْكَرِ، مِنَ الْعَامَّةِ وَالْفُقَهَاءِ، فَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْمُنْتَحِلِينَ لِلْعِبَادَةِ وَسُلُوكِ الدِّينِ، يَذْهَبُونَ إِلَى الْقِيَامِ عَلَى أَهْلِ الْجَوْرِ مِنَ الْأُمَرَاءِ، دَاعِينَ إِلَى تَغْيِيرِ الْمُنْكَرِ وَالنَّهْيِ عَنْهُ وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ؛ رَجَاءً فِي الثَّوَابِ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ، فَيَكْثُرُ أَتْبَاعُهُمْ وَالْمُتَشَبِّثُونَ بِهِمْ، مِنَ الْغَوْغَاءِ وَالدَّهْمَاءِ، وَيُعَرِّضُونَ أَنْفُسَهُمْ فِي ذَلِكَ

---

(١) عيون البصائر (٢/ ٢٩٢).

لِلْمَهَالِكِ، وَأَكْثَرُهُمْ يَهْلِكُونَ فِي تِلْكَ السَّبِيلِ مَأْزُورِينَ غَيْرَ مَأْجُورِينَ؛ لِأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَكْتُبْ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ»(١).

قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَاللَّهِ لَوْ أَنَّ النَّاسَ إِذَا ابْتُلُوا مِنْ قِبَلِ سَلَاطِينِهِمْ صَبَرُوا، مَا لَبِثُوا أَنْ يَرْفَعَ اللَّهُ ذَلِكَ عَنْهُمْ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ يَفْزَعُونَ إِلَى السَّيْفِ فَيُوكَلُوا إِلَيْهِ، وَوَاللَّهِ مَا جَاءُوا بِيَوْمِ خَيْرٍ قَطُّ، ثُمَّ تَلَا قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ﴾ [الأعراف: الآية ١٣٧]»(٢).

فِي كُلِّ بَلَدٍ يُدْعَى فِيهِ إِلَى تَفْرِيقِ أَهْلِهِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى

(١) مقدمة ابن خلدون (١/ ٧٩).

(٢) أخرجه الآجري في الشريعة (٦٣).

أحْزَابٍ سِيَاسِيَّةٍ بِاسْمِ الْعَدْلِ وَالدِّيمُقْرَاطِيَّةِ، تَجِدُ فِيهِ لْمُسْتَجِيبِينَ لِهَذِهِ الدَّعْوَةِ، مِنَ الطَّامِعِينَ فِي السُّلْطَةِ، لَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ لَا يُرِيدُونَ إِلَّا الدَّارَ الْآخِرَةَ، وَهُمْ بْنحَرُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، بِوَرَقَةٍ فِي صُنْدُوقِ الانْتِخَابِ.

وَمَنْ يَعْتَزِلُ يُرْمَى بِالْغَائِبِ عَنِ الْوَاقِعِ الْمَرِيرِ، لسَّلْبِيِّ فِي التَّأْثِيرِ.

وَمَنْ يَتَنَحَّى يُقَالُ لَهُ: فَارٌّ مِنَ الزَّحْفِ، وَطَاعِنٌ مِنْ خَلْفٍ.

وَهُوَ مَا زَادَ عَنْ أَخْذٍ بِالْكِتَابِ الْكَرِيمِ، الَّذِي نَهَى عَنِ التَّفَرُّقِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: الآية ١٠٥]، وَتَأَسَّى بِالرَّسُولِ ﷺ، الَّذِي كَانَ يَنْهَى عَنْ طَلَبِ الْإِمَارَةِ، فَيَقُولُ

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَسْأَلِ الْإِمَارَةَ، فَإِنَّكَ إِنْ أُعْطِيتَهَا مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ أُعِنْتَ عَلَيْهَا، وَإِنْ أُعْطِيتَهَا عَنْ مَسْأَلَةٍ وُكِلْتَ إِلَيْهَا»[1] رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

أَمَّا وَاقِعُ التَّحَزُّبِ: فَقَدْ رَأَى النَّاسُ أَنَّ الْأُمَّةَ لَمْ تَجْنِ مِنْهُ سِوَى الْفِتَنِ، بِدَايَتُهُ التَّفَرُّقُ، وَنِهَايَتُهُ الِاقْتِتَالُ بَعْدَ التَّمَزُّقِ، كُلُّ هَذَا وَغَيْرُهُ مِنْ فِعْلِ الْأَحْزَابِ فِي الْأُمَّةِ الْمُسْلِمَةِ اقْتَسَمُوا أَمْوَالَهَا، وَشَتَّتُوا آرَاءَهَا، فَمَسُّوهَا بِفَقْرٍ وَوَعَدُوهَا بِقَصْرٍ، وَكُلٌّ مِنْهُمْ يَقُولُ لِلشَّعْبِ: اخْرُجْ مُتَظَاهِرًا أَمَامِي، فَالسَّعَادَةُ تَحْتَ أَقْدَامِي، وَيُقَابِلُهُمْ آخَرُونَ يَقُولُونَ: قَطْعُ الرِّقَابِ لِكُلِّ مَنْ يُشَارِكُ فِي الِانْتِخَابِ، وَهَذَا

---

(١) أخرجه البخاري (٦٦٢٢، ٦٧٢٢، ٧١٤٦، ٧١٤٧)، ومسلم (١٦٥٢) من حديث عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه.

كُلُّهُ مِنَ الْفِتَنِ الْغَوِيَّةِ.

وَالنَّاسُ يَحْسَبُونَهُ جِهَادًا فِي سَبِيلِ إِقَامَةِ الدَّوْلَةِ الإِسْلَامِيَّةِ، وَاعْلَمْ أَنَّ رَبَّكَ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- مَا ذَكَرَ الأَحْزَابَ فِي كِتَابِهِ إِلَّا ذَمَّهَا.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُ﴾ [الرعد: الآية ٣٦].

وَقَالَ -جَلَّ وَعَلَا-: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ﴾ [هود: الآية ١٧].

وَقَالَ -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ-: ﴿جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الْأَحْزَابِ﴾ [ص: الآية ١١].

وَلِلْحِزْبِيَّةِ مَفَاسِدُ كَثِيرَةٌ، لَكِنَّ أَبْرَزَهَا هِيَ دَعْوَتُهَا إِلَى التَّفَرُّقِ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِيهَا سِوَى هَذَا لَكَفَى بِهِ

إِثْمًا، وَلِذَلِكَ كَانَ مِنْ عَجَائِبِ الآيَاتِ، الَّتِي نَدَّدَتْ بِالْحِزْبِيَّةِ، أَنَّهَا لَا تَكَادُ تَذْكُرُهَا إِلَّا مَقْرُونَةً بِالْفُرْقَةِ.

فَتَأَمَّلْ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: الآية ٣١-٣٢].

وَتَأَمَّلْ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [المؤمنون: الآية ٥٣].

وَتَأَمَّلْ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾﴾ [مريم: الآية ٣٧].

وَقَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾﴾ [الزخرف: الآية ٦٥].

وَكَيْفَ لَا تُذَمُّ الأَحْزَابُ، وَهِيَ أَحْزَابٌ مُتَعَدِّدَةٌ،

هَذِهِ الْأُمَّةُ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ، وَلِذَلِكَ لَمْ يَمْدَحِ اللَّهُ فِيهَا إِلَّا لِحِزْبَ الْوَاحِدَ الْمُوحِّدَ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المَائدة: الآية ٥٦].

وَقَالَ -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ-: ﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: الآية ٢٢].

مِنْ أَجْلِ هَذَا: فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ، لَمْ يَعْبَأْ بِالْوِحْدَةِ السِّيَاسِيَّةِ بَادِئَ ذِي بَدْءٍ، وَلَمْ يَهْتَمَّ بِإِصْلَاحِهَا، قَبْلَ إِصْلَاحِ أَصْلِ الدِّينِ، وَهَذَا مِمَّا يَنْبَغِي أَنْ يُلْتَفَتَ إِلَيْهِ، وَأَنْ يُؤَمَّ، وَأَلَّا يُسْتَدْبَرَ، وَأَلَّا يُهْمَلَ.

فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَعْبَأْ بِالْوِحْدَةِ السِّيَاسِيَّةِ، بَادِئَ ذِي بَدْءٍ، وَلَمْ يَهْتَمَّ بِإِصْلَاحِهَا، قَبْلَ إِصْلَاحِ أَصْلِ الدِّينِ، فَالوِحْدَةُ الْجَسَدِيَّةُ، قَدْ تَكُونُ خَدَّاعَةً، وَأَمَّا

الْوِحْدَةُ الْعَقَدِيَّةُ: فَجَمَّاعَةٌ مَنَّاعَةٌ.

وَلِذَلِكَ أَخْبَرَ اللَّهُ ﷻ أَنَّ الْيَهُودَ هُمُ الَّذِينَ عَكَسُوا هَذَا الْهَدْيَ النَّبَوِيَّ، فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَعْبَأْ بِالْوِحْدَةِ السِّيَاسِيَّةِ بَادِئَ ذِي بَدْءٍ، وَإِنَّمَا الْتَفَتَ إِلَى أَصْلِ الدِّينِ، فَأَسَّسَ قَوَاعِدَ التَّوْحِيدِ، وَدَعَا إِلَى عِبَادَةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَنَبْذِ الشِّرْكِ بِهِ، وَأَمَّا الْيَهُودُ فَعَلَى الضِّدِّ مِنْ هَذَا الْهَدْيِ النَّبَوِيِّ: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ [الحشر: الآية ١٤].

وَأَمَّا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَدْ حَرِصَ عَلَى أَنْ تَكُونَ الْقُلُوبُ مُجْتَمِعَةً، فَتَجْتَمِعُ الْأَبْدَانُ تَبَعًا، وَأَمَّا الَّذِينَ عَكَسُوا الْهَدْيَ الْمُحَمَّدِيَّ، وَخَرَجُوا عَنِ السَّنَنِ النَّبَوِيِّ، فَهُمُ الَّذِينَ الْتَفَتُوا إِلَى الْوِحْدَةِ السِّيَاسِيَّةِ، قَبْلَ أَنْ يُؤَصِّلُوا الْوِحْدَةَ الْعَقَدِيَّةَ، وَهَذَا عَكْسٌ لِطَرِيقِ

رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ [الحشر: الآية ١٤].

عَكَسَ الْيَهُودُ الْهَدْيَ النَّبَوِيَّ، وَأَخْبَرَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ أَنَّ مَنْ عَكَسَ الْهَدْيَ النَّبَوِيَّ، فَحَرِصَ عَلَى الْوِحْدَةِ السِّيَاسِيَّةِ عَلَى حِسَابِ الْوِحْدَةِ الْعَقَدِيَّةِ، فَلَا عَقْلَ لَهُ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ [المائدة: الآية ٥٨]، ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ [الحشر: الآية ١٤].

فَمَنْ حَرِصَ عَلَى الْوِحْدَةِ السِّيَاسِيَّةِ، قَبْلَ تَأْسِيسِ الْوِحْدَةِ الْعَقَدِيَّةِ، فَهُوَ مِنَ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ، وَهُوَ سَائِرٌ عَلَى هَدْيِ الْيَهُودِ الْمَلَاعِينِ الَّذِينَ تَنَكَّبُوا هَدْيَ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ ﷺ.

وَسِرُّ ذَلِكَ: أَنَّهُ اعْتَنَى بِصَلَاحِ ظَاهِرِهِ، وَبَاطِنُهُ

خَرَابٌ، فَأَنَّى لَهُ الِانْتِصَارُ عَلَى الْعَدُوِّ؟!

وَمِنْ غَرِيبِ الْمُوافَقَاتِ: أَنَّ هَذَا هُو مَنْهَجُ مَنْ سَمَّوْا أَنْفُسَهُمْ: حَرَكِيِّينَ، وَهُمْ بِهَذَا يَكُونُونَ قَدْ دَلُّونَا عَلَى أَنَّهُمْ لَا عُقُولَ لَهُمْ؛ لِأَنَّ أَصْلَ دَعْوَتِهِمْ مُؤَسَّسٌ عَلَى الْإِصْلَاحِ السِّيَاسِيِّ، قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، حَتَّى الْعَقِيدَةِ، وَإِنْ زَعَمُوا مَا زَعَمُوا مِنْ أَنَّهُمْ فِي حِرْصٍ حَرِيصٍ عَلَيْهَا.

وَقَدْ أَجْمَعَ الْفُقَهَاءُ كُلُّهُمْ عَلَى أَنَّ الْعَقْلَ شَرْطٌ فِي اخْتِيَارِ وَلِيِّ الْأَمْرِ، فَإِذَا كَانَ هَؤُلَاءِ قَدْ دَلَّ الْقُرْآنُ عَلَى أَنَّهُمْ لَا عُقُولَ لَهُمْ، فَكَيْفَ يَكُونُونَ وُلَاةً لِلْأُمُورِ، وَلَا عَقْلَ لَهُمْ، وَقَدْ أَجْمَعَ الْفُقَهَاءُ، عَلَى أَنَّ الْعَقْلَ شَرْطٌ فِي اخْتِيَارِ وَلِيِّ الْأَمْرِ؟!

وَاعْلَمْ أَنَّ فَرْضَ التَّعَدُّدِيَّةِ الْحِزْبِيَّةِ عَلَى الدُّوَلِ

الضَّعِيفَةِ هُو لَوْنٌ مِنْ أَلْوَانِ الِاسْتِعْمَارِ الْجَدِيدِ؛ وَذَلِكَ لِمَا فِي هَذِهِ التَّعَدُّدِيَّةِ الْحِزْبِيَّةِ، مِنْ تَحْقِيقِ مَبْدَإِ الِاسْتِعْمَارِ الْقَائِلِ: «فَرِّقْ تَسُدْ».

وَقَدِيمًا مَزَّقَ الْمَمْلَكَةَ الْإِسْلَامِيَّةَ، إِلَى دُولٍ بَلْ إِلَى دُوَيْلَاتٍ مُسْتَقِلٌّ بَعْضُهَا عَنْ بَعْضٍ، حَتَّى أَضْحَتْ كُلُّ دُوَيْلَةٍ تَرَى نَفْسَهَا شَعْبَ اللَّهِ الْمُخْتَارَ!!

فَأَنْتَ تَجِدُ كُلَّ بِلَادٍ مُسْلِمَةٍ، تَذُمُّ أُخْتَهَا، إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ، حَتَّى لَا تَرَى عَلَى الْأَرْضِ أَحْسَنَ مِنْ نَفْسِهَا.

وَالْيَوْمَ يُمَزِّقُ الاسْتِعْمَارُ الْجَدِيدُ الدُّوَيْلَةَ الْمُسْلِمَةَ الْوَاحِدَةَ إِلَى أَحْزَابٍ وَ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون: الآية ٥٣].

وَقَدْ فَعَلَ بِهِمْ هَذَا لِأَنَّهُ ضَاقَ ذَرْعًا بِالدَّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، الَّتِي تُدْخِلُ فِي دِينِ اللَّهِ مِنَ الْمِلَلِ

الْأُخْرَى فِي كُلِّ سَنَةٍ أَعْدَادًا كَبِيرَةً، فَاهْتَدَوْا إِلَى وَسِيلَةِ التَّعَدُّدِيَّةِ الْحِزْبِيَّةِ؛ لِيَظْفَرُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِأَمْرَيْنِ:

الْأَوَّلِ: صَرْفُ الدُّعَاةِ عَنِ الدَّعْوَةِ الْوَلُودِ، بِإِشْغَالِهِمْ بِالْمُهَاتَرَاتِ الْبَرْلَمَانِيَّةِ الْعَقِيمَةِ؛ لِأَنَّ فِي الْعَمَلِ السِّيَاسِيِّ شُغْلًا يُنْسِي مُمَارَسَةَ الدِّينِ، بِالدَّعْوَةِ إِلَى سَبِيلِ اللهِ الْقَوِيمِ.

فِي الْعَمَلِ السِّيَاسِيِّ شُغْلٌ يُنْسِي مُمَارِسَهُ أَهْلَهُ خَاصَّةً، فَكَيْفَ بِدَعْوَةِ النَّاسِ عَامَّةً.

وَالثَّانِي: إِطْمَاعُهُمْ فِي الرِّئَاسَةِ، بُغْيَةَ تَقْرِيبِهِمْ مِمَّا يُسَهِّلُ تَفْرِيقَ صَفِّهِمْ؛ إِذْ قَضَتِ التَّجْرِبَةُ أَنَّهُ مَا فُتِحَ بَابُ التَّحَزُّبِ السِّيَاسِيِّ إِلَّا اخْتَلَفَ دَاخِلُوهُ، وَلَوْ كَانُوا أَهْلَ دِينٍ وَاحِدٍ، وَشَرِيعَةٍ مُحْكَمَةٍ وَاحِدَةٍ، وَالْوَاقِعُ بَيْنَ نَاظِرَيْكَ وَكُلُّ أُمَّةٍ مُتَفَرِّقَةٍ،

فَهِيَ أُمَّةٌ فَاشِلَةٌ ضَعِيفَةٌ.

قَالَ رَبُّنَا -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ-: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: الآية ٤٦].

فَكُلُّ أُمَّةٍ مُتَفَرِّقَةٍ، هِيَ أُمَّةٌ فَاشِلَةٌ ضَعِيفَةٌ.

وَقَدْ رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ، فِي «الْعِلَلِ وَمَعْرِفَةِ الرِّجَالِ»[1]، عَنِ الْحَسَنِ قَالَ: شَهِدْتُهُمْ يَوْمَ تَرَامَوْا بِالْحَصَى فِي أَمْرِ عُثْمَانَ، حَتَّى جَعَلْتُ أَنْظُرُ فَمَا أَرَى أَدِيمَ السَّمَاءِ مِنَ الرَّهَجِ -أَيْ: مِنَ الْغُبَارِ-، فَسَمِعْتُ كَلَامَ امْرَأَةٍ مِنْ بَعْضِ الْحُجَرِ، فَقِيلَ لِي: هَذِهِ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ، فَسَمِعْتُهَا تَقُولُ: «إِنَّ نَبِيَّكُمْ ﷺ قَدْ بَرِئَ مِمَّنْ فَرَّقَ دِينَهُ واحْتَزَبَ».

---

(١) العلل ومعرفة الرجال رقم (٣٥٩٧).

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ: قَالَ مُؤَمَّلٌ: هِيَ عَائِشَةُ، وَالصَّوَابُ: يَقُولُ عَبْدُ اللَّهِ: أُمُّ سَلَمَةَ».

وَهَذَا الْأَثَرُ الْعَجِيبُ: يُعَدُّ غَنِيمَةً ثَمِينَةً نَغْتَنِمُهَا فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ؛ لِأَنَّ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ رضي الله عنها عَلِمَتْ مَا بَيْنَ التَّحَزُّبِ وَالتَّفَرُّقِ مِنْ صِلَةٍ فَقَرَنَتْ بَيْنَهُمَا.

تَأَمَّلْ: فَإِنَّ عَامَّةَ كَلَامِ السَّلَفِ، يَخْرُجُ عَلَى هَذَا النَّمَطِ: لَفْظُهُ قَلِيلٌ، وَمَعْنَاهُ ثَقِيلٌ جَلِيلٌ.

وَلِذَلِكَ وَجَدْنَا الْعِلْمَانِيِّينَ فِي كَثِيرٍ مِنْ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ، قَدِ اجْتَهَدُوا لِتَوْقِيفِ تَوَسُّعِ الْإِسْلَامِ، وَوَأْدِ نَشَاطِهِ فَلَمْ يُفْلِحُوا فِي كَبِيرِ شَيْءٍ، بَعْدَ أَنْ تَمَكَّنُوا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، فَأَوْحَى إِلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ بِهَذِهِ الْفِكْرَةِ لِيَبُثُّوهَا فِي الْمُسْلِمِينَ، أَلَا وَهِيَ الْحِزْبِيَّةُ السِّيَاسِيَّةُ، تُفَرِّقُ الْأُمَّةَ وَتُشَتِّتُ شَمْلَهَا، وَتُمَزِّقُ

صِلَاتِ أَبْنَائِهَا، وَتَجْعَلُهُمْ بِدَدًا، شَذَرَ مَذَرَ، يَتَقَاتَلُونَ، يَتَهَارَجُونَ، يَتَهَارَشُونَ، وَكُلُّهُمْ إِذَا مُدَّتِ الْأَيْدِي بِالسِّلَاحِ، لَا يَعْلَمُ الْقَاتِلُ لِمَ قَتَلَ، وَلَا يَعْلَمُ الْمَقْتُولُ فِيمَ قُتِلَ، كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ(١).

«الْحِزْبِيَّةِ السِّيَاسِيَّةِ» سَمَّاهَا أُولَئِكَ لِهَؤُلَاءِ أَسَامِيَ زُورٍ، وَدَلَّاهُمُ الشَّيْطَانُ فِيهَا بِحَبْلِ غُرُورٍ، فَقَالَ: هَذَا سَبِيلُ الْعَدْلِ، وَشَفَافِيَةُ الْعَدْلِ، وَحُرِّيَّةُ التَّعْبِيرِ، ودِيمُقْرَاطِيَّةُ التَّفْكِيرِ، وَصِيَانَةُ حُقُوقِ الْإِنْسَانِ، وَضَمَانُ عَيْشِ الأَقَلِّيَّاتِ بِأَمَانٍ، كُلُّ ذَلِكَ لِيُدْخِلُوهُمْ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٠٨) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَذْهَبُ الدُّنْيَا حَتَّى يَأْتِيَ عَلَى النَّاسِ يَوْمٌ لَا يَدْرِي الْقَاتِلُ فِيمَ قَتَلَ؟ وَلَا الْمَقْتُولُ فِيمَ قُتِلَ؟» فَقِيلَ: كَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ؟ قَالَ: «الْهَرْجُ، الْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ».

فِي صِرَاعِهِمْ مَعَ حُكُومَاتِهِمْ وَهُمْ يَتَفَرَّجُونَ!

فَكُلُّ مُخَالَفٍ لَهُمْ إِمَّا أَنْ يَغُرُّوهُ بِدَفْعِهِ لِاسْتِعْمَالِ الْعُنْفِ فِي بِلَادِهِ، فَإِذَا اسْتَجَابَ، أَغْرَوْا بِهِ دَوْلَتَهُ لِتَبْطِشَ بِهِ، فَيَضْرِبُونَ هَذَا بِهَذَا، وَالْكَاسِبُ هُوَ الشَّيْطَانُ الرَّجِيمُ.

وَإِمَّا أَنْ يُزَيِّنُوا لَهُ الدُّخُولَ تَحْتَ اللُّعْبَةِ الدِّيمُقْرَاطِيَّةِ، فَجَاءَ مَنْ كَانُوا فِي قَوْمِهِمْ دَاعِينَ إِلَى اللَّهِ كَالأَنْبِيَاءِ، فَزَهَّدَهُمُ الشَّيْطَانُ فِي دَعْوَةِ الْأَنْبِيَاءِ، وَقَالَ لَهُمْ: إِلَى مَتَى وَأَنْتُمْ فِي الْمَسَاجِدِ كَالدَّرَاوِيشِ، وَالنَّاسُ يَتَقَاسَمُونَ الْمُلْكَ؟

فَاسْتَنْزَلُوهُمْ مِنْ عَلْيَائِهِمْ، وَاسْتُزِلُّوا إِلَى بَرْلَمَانَاتِهِمْ، وَأُلْقِيَ إِلَيْهِمْ مِنْهَا عَظْمٌ هَزِيلٌ، لِيُشْغَلُوا بِهِ لَكِنْ بِالشَّمِّ وَالتَّقْبِيلِ، فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَيْهِ يَقْتَتِلُونَ؛

إِذْ حُرِمَ النَّاسُ مِنْ إِرْشَادِهِمْ، كَمَا حُرِمُوا هُمْ أَنْفُسُهُمْ مِنَّةَ الِاسْتِقَامَةِ الَّتِي كَانُوا عَلَى شَيْءٍ مِنْهَا قَبْلُ، فَكَانُوا كَمَنْ ذَهَبَ يَصِيدُ فَصِيدَ!

وَقَدْ قِيلَ الْيَوْمَ: السِّيَاسَةُ لَا دِينَ لَهَا! وَلِذَلِكَ تَرَى كُلَّ مَنْ دَخَلَ هَذَا الْبَرْلَمَانَ بِلَا اسْتِثْنَاءٍ، يُجَرَّدُ مِنْ دِينِهِ شَيْئًا فَشَيْئًا، حَتَّى لَا يَبْقَى لَهُ مِنْ دَعْوَتِهِ إِلَيْهِ، سِوَى الشِّعَارَاتِ وَالدَّعَاوَى الْعَرِيضَةِ.

نَزَلُوا، ثُمَّ ضَلُّوا، ثُمَّ ذَلُّوا، وَقَدْ قِيلَ: رُبَّ عَطَبٍ تَحْتَ طَلَبٍ! وَحُجَّةُ كُلِّ حِزْبٍ مِنْهُمْ تَرْدِيدُ قَوْلٍ وَاحِدٍ: إِلَى مَنْ تَتْرُكُونَ الْبَرْلَمَانَ؟

وَلَمْ يَتَسَاءَلُوا: إِلَى مَنْ تَتْرُكُونَ دَعْوَةَ النَّاسِ إِلَى الرَّحْمَنِ؟

بَلْ لَوْ سَأَلُوا أَنْفُسَهُمْ سُؤَالًا وَاحِدًا، لَزَالَتْ عَنْهُمُ

الْحَيْرَةُ.

هَذَا السُّؤَالُ هُوَ: هَلْ قَامَ النَّبِيُّ ﷺ بِالْإِصْلَاحِ الَّذِي قَامَ بِهِ عَنْ طَرِيقِ الْإِصْلَاحِ السِّيَاسِيِّ، أَمْ عَنْ طَرِيقِ الْإِصْلَاحِ التَّرْبَوِيِّ الْعَقَدِيِّ؟

وَبِطَرِيقَةٍ أُخْرَى يُقَالُ: هَلْ بَدَأَ النَّبِيُّ ﷺ بِإِصْلَاحِ دَوْلَتِهِ، أَوْ بَدَأَ بِإِصْلَاحِ شَعْبِهِ؟

دَوْلَةٌ وَشَعْبٌ، حُكُومَةٌ وَشَعْبٌ، بَرْلَمَانٌ وَشَعْبٌ.

هَلْ بَدَأَ النَّبِيُّ ﷺ بِإِصْلَاحِ دَوْلَتِهِ أَوْ بَدَأَ بِإِصْلَاحِ شَعْبِهِ؟

سُؤَالٌ جَوَابُهُ لَا يَخْتَلِفُ فِيهِ اثْنَانِ، وَلَا يَنْتَطِحُ فِيهِ عَنْزَانِ.

إِنَّ إِخْلَاصَ الْمَرْءِ فِي نُبْلِ هَدَفِهِ، الَّذِي هُوَ تَحْقِيقُ

ام الدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، لَا يُعْفِيهِ مِنَ النَّظَرِ فِي الطَّرِيقَةِ
نَّبَوِيَّةِ، لِلْوُصُولِ إِلَى ذَلِكَ الْمَقْصُودِ، نُبْلُ الْهَدَفِ
حْدَهُ لَا يَكْفِي.

قَدْ يَكُونُ الْمَرْءُ نَبِيلَ الْهَدَفِ جِدًّا، يَخُوضُ إِلَى
شَّاطِئِ بِرْكَةً مِنَ الْوَحْلِ وَالطِّينِ، وَهُوَ يَحْسَبُ أَنَّهُ
يَصِلُ إِلَى الشَّاطِئِ نَظِيفَ الثَّوْبِ وَالْبَدَنِ، وَهَيْهَاتَ!
ى يَكُونُ ذَلِكَ، وَهُوَ يَخُوضُ إِلَيْهِ بِرْكَةً مِنَ الْوَحْلِ
الطِّينِ؟!.

إِنَّ إِخْلَاصَ الْمَرْءِ فِي نُبْلِ هَدَفِهِ الَّذِي هُوَ تَحْقِيقُ
دَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، لَا يُعْفِيهِ مِنَ النَّظَرِ فِي الطَّرِيقَةِ
نَّبَوِيَّةِ لِلْوُصُولِ إِلَى ذَلِكَ، لِأَنَّ الْإِخْلَاصَ لِلَّهِ وَحْدَهُ
يَكْفِي لِنَيْلِ الْقَبُولِ عِنْدَهُ.

أَرَأَيْتَ لَوْ قِيلَ لِمَنْ يَذْكُرُ اللَّهَ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-

بِطَرِيقَةٍ بِدْعِيَّةٍ: اتْرُكْ هَذَا الذِّكْرَ، وَاذْكُرِ اللَّهَ بِطَرِيقَةٍ سُنِّيَّةٍ، أَفَيَجُوزُ لَهُ أَنْ يَقُولَ: إِنَّ قَائِلَ هَذَا لَا يُحِبُّ الذِّكْرَ؟!

فَكَذَلِكَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ: وَيْحَكُمْ تَنَكَّبْتُمْ سَبِيلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ! اسْتَدْبَرْتُمُ الْهَدْيَ النَّبَوِيَّ، اسْتَدْبَرْتُمُ الطَّرِيقَ الْمُحَمَّدِيَّ، وَإِنَّمَا تَسِيرُونَ فِي طَرِيقِ الْيَهُودِ، فَهُمُ الَّذِينَ يَحْرِصُونَ عَلَى الْإِصْلَاحِ السِّيَاسِيِّ، وَلَا يَلْتَفِتُونَ إِلَى الْإِصْلَاحِ الْعَقَدِيِّ التَّرْبَوِيِّ: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ [الحشر: ١٤].

وَبَيَّنَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ، فَكَذَلِكَ لَا يُقَالُ: إِنَّ مَنْ لَا يُشَارِكُ فِي الْبَرْلَمَانِ، لَا يُحِبُّ قِيَامَ دَوْلَةِ الْإِسْلَامِ؛ لِأَنَّهُ يَسْتَحِيلُ أَنْ يُوجَدَ مُسْلِمٌ صَادِقٌ، يَكْرَهُ دَوْلَةَ الْإِسْلَامِ، وَإِنَّمَا قَالَ اللَّهُ ﷻ هَذَا فِي

ـكُفَّارِ، فَالْكُفَّارُ هُمُ الَّذِينَ يَكْرَهُونَ قِيَامَ دَوْلَةِ
لْإِسْلَامِ، فَيَسْتَحِيلُ أَنْ يُوجَدَ مُسْلِمٌ صَادِقٌ يَكْرَهُ دَوْلَةَ
لْإِسْلَامِ، قَالَ -جَلَّ وَعَلَا-: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ
ـزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [محمَّد: الآية ٩] .

وَلَا يُقَالُ: كَيْفَ تَصِلُونَ إِلَى تَحْكِيمِ الشَّرِيعَةِ، إِذَا
ـمْ تُشَارِكُوا فِي الْبَرْلَمَانِ؟

وَلَكِنْ يُقَالُ: هَلْ شَارَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كُفَّارَ
ـرَيْشٍ فِي حُكْمِهِمْ، حَتَّى وَصَلَ إِلَى تَحْكِيمِ شَرِيعَةِ
لرَّحْمَنِ؟

هَذَا هُوَ اللِّسَانُ الصَّادِقُ، لِأَهْلِ الِاتِّبَاعِ الصَّادِقِ،
ـنَّ لِسَانَ حَالِ الْأَحْزَابِ يَقُولُ: (إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا
ـقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِحُكُومَاتِهِمْ)، وَلِذَلِكَ تَسَابَقُوا
ـلَى الْكُرْسِيِّ، وَاللَّهُ -جَلَّ وَعَلَا- يَقُولُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ

لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرّعد: الآية ١١] .

قَدْ رَأَى الْعَالَمُ كُلُّهُ الْحَالَةَ الْمُزْرِيَةَ الَّتِي وَصَلَتْ إِلَيْهَا بَعْضُ الشُّعُوبِ، الَّتِي تَرَامَى دُعَاتُهُمْ بَيْنَ أَحْضَانِ مَطَامِعِ التَّعَدُّدِيَّةِ الْحِزْبِيَّةِ، وَالرَّكْضِ وَرَاءَ الصَّنَادِيقِ الزُّجَاجِيَّةِ، تَوَهَّمُوا أَنَّهُمْ بِذَلِكَ يُزَاحِمُونَ الْعَلْمَانِيَّةَ، مَعَ أَنَّ الْعِلْمَانِيَّةَ هِيَ صَاحِبَةُ الْمَأْدُبَةِ، فَدَخَلُوا بِحِزْبِهِمْ كَمَا دَخَلَ غَيْرُهُمْ بِأَحْزَابِهِمْ، فِي صِرَاعٍ سِيَاسِيٍّ فِيمَا بَيْنَهُمْ، وَكَذَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ دَوْلَتِهِمْ، انْتَهَى بِهِمْ ذَلِكَ الصِّرَاعُ، إِلَى وَهَنِ الدَّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَعَوْدِ الْجَهْلِ الذَّرِيعِ إِلَى الشُّعُوبِ، حَتَّى عُبِدَ اللَّهُ بَشَرِّ الْبِدَعِ.

لِأَنَّ الدُّعَاةَ الَّذِينَ كَانَ مِنَ الْمُفْتَرَضِ أَنْ يَكُونُوا نُخْبَةَ مُجْتَمَعَاتِهِمْ أَصْبَحُوا مَشْغُولِينَ بِالسِّيَاسَةِ، وَفِي

ـلَادٍ أُخْرَى حَدَثَ ذَلِكَ مَعَ زِيَادَةٍ فِي الشَّرِّ، وَهِيَ
ـخوِيلُ الْبِلَادِ بِطُولِهَا وَعَرْضِهَا إِلَى أَوْدِيَةٍ مِنَ الدِّمَاءِ،
ـى يَوْمِ النَّاسِ هَذَا، وَهُمْ إِلَى الْآنَ يَبْحَثُونَ عَنِ الْأَمْنِ
ـ يُشْتَرَى.

أَفِي مِثْلِ هَذِهِ الصُّورِ مِنَ الْفِتْنَةِ يُقَالُ: أَيِّدُوا أَيِّدُوا،
أَصْوَاتُكُمْ تُسْأَلُونَ عَنْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟!

أَهَذَا يُقَالُ فِي مِثْلِ هَذِهِ الصُّوَرِ مِنَ الْفِتْنَةِ، كُلُّ هَذَا
ـائِقُهُ الْجَهْلُ، بِالْفَرْقِ بَيْنَ الْجِهَادِ وَالْفِتْنَةِ، وَهُوَ
ـلَّذِي وَرَاءَ هَذَا الْخَبْطِ وَالْخَلْطِ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ[1].

الدُّعَاةُ الَّذِينَ كَانَ الْمُفْتَرَضُ أَنْ يَكُونُوا نُخْبَةَ
ـجْتَمَعَاتِهِمْ، أَصْبَحُوا مَشْغُولِينَ بِالسِّيَاسَةِ، وَالسِّيَاسَةُ
ـهَا رِجَالُهَا، وَقَدْ قِيلَ فِيهَا فِي هَذَا الْعَصْرِ: إِنَّهَا

---

(١) انظر: «تمييز ذوي الفطن» (ص١٦٧- ١٧٣).

لَا دِينَ لَهَا! فَهَؤُلَاءِ يَبْحَثُونَ عَنِ الْإِصْلَاحِ السِّيَاسِيِّ.

وَهَذِهِ الْمُشْكِلَةُ فِي هَذَا الصِّرَاعِ الْمُحْتَدِمِ، مُشْكِلَةٌ ثُنَائِيَّةٌ:

أَمَّا الْأُولَى فَهِي: هَلِ الْإِصْلَاحُ يَتِمُّ عَنْ طَرِيقِ إِصْلَاحِ الْحَاكِمِ، أَوْ عَنْ طَرِيقِ إِصْلَاحِ الْأُمَّةِ؟.

وَالثَّانِيةُ: إِذَا كَانَ لَابُدَّ مِنَ الْمُمَارَسَةِ السِّيَاسِيَّةِ، فَمَنْ هُمْ أَهْلُهَا؟

الْجَوَابُ عَنِ الْمُشْكِلَةِ الْأُولَى وَهِي: هَلِ الْإِصْلَاحُ يَتِمَّ عَنْ طَرِيقِ إِصْلَاحِ الْحَاكِمِ، أَوْ عَنْ طَرِيقِ إِصْلَاحِ الْأُمَّةِ؟

هَلِ الْإِصْلَاحُ يَتِمُّ عَنْ طَرِيقِ إِصْلَاحِ الْحَاكِمِ، وَالشَّعْبُ عَلَى مَا هُو عَلَيْهِ مِنَ الْفَسَادِ، وَعَلى مَا وَصَلَ إِلَيْهِ مِنَ الْأَخْلَاقِ الْمُتَرَدِّيةِ، وَالْأَوْضَاعِ الْوَضِيعَةِ

لرَّدِيَّةِ، وَمَا تَرَبَّى عَلَيْهِ مِنْ مَرْذُولِ الْعَادَاتِ، وَسَيِّئِ
لنَّحْلَاتِ، وَمَا صَارَ إِلَيْهِ مِنَ الْهُوَّةِ الْهَاوِيَةِ، مِنَ
الْأَخْلَاقِ الْهَابِطَةِ الْمُرْدِيَةِ الرَّدِيَّةِ؟

هَلِ الْإِصْلَاحُ يَكُونُ بِإِصْلَاحِ الْحَاكِمِ؟ أَوْ يَكُونُ
بِإِصْلَاحِ الْأُمَّةِ؟

الْجَوَابُ فِي نَصِّ آيَةٍ وَحَدِيثٍ، وَلَا اجْتِهَادَ مَعَ
النَّصِّ:

قَالَ رَبُّنَا -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ-: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ
حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]، مَا أَوْضَحَهُ مِنْ بَيَانٍ،
وَلَكِنْ مَعَ وُضُوحِهِ فَأَكْثَرُ مَنْ تَسَمَّوْا بِأَسْمَاءِ حَرَكَاتٍ
إِسْلَامِيَّةٍ، قَدِ اجْتَهَدُوا وَلَا اجْتِهَادَ مَعَ النَّصِّ، وَجَاءَ
لِسَانُ حَالِهِمْ يَقُولُ: (إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا
مَا بِحُكُومَاتِهِمْ)، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ

الْعَظِيمِ، غَاضِّينَ طَرْفًا عَنِ السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ الْمُفَسِّرَةِ لِهَذَا الْبَيَانِ، غَافِلِينَ عَنْ أَنَّهُمْ لَا عِزَّ لَهُمْ، حَتَّى يَتَحَكَّمَ الدِّينُ فِي نُفُوسِهِمْ؛ لِحَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله وسلم قَالَ: «إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ، سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ»[1] رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

هَذَا حُكْمُ اللَّهِ، وَهَذَا حُكْمُ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم:

﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ﴾ [الجَاثية: الآية ٦].

فَاحْذَرُوا -أَيْ: إِخْوَانَنَا- مِنْ رَدِّ الْحَقِّ، تَحَاكُمًا إِلَى وَاقِعِكُمْ، أَوِ اغْتِرَارًا بِتَجْرِبَتِكُمْ، أَوْ إِرْضَاءً لِنُخَالَةِ

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٤٦٤) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٢٣)، وفي «السلسلة الصحيحة» (١١).

أَذْهَانِكُمْ.

أَوَلَيْسَ قَدْ حَكَمَ اللَّهُ، أَنْ لَا تَمْكِينَ فِي الْأَرْضِ، وَلَا اسْتِخْلَافَ، وَلَا أَمْنَ، وَلَا نَصْرَ، إِلَّا بِأُمَّةٍ؛ وَأَيُّ أُمَّةٍ؟

إِنَّهَا أُمَّةُ الْعِبَادَةِ مَعَ تَوْحِيدٍ خَالِصٍ.

فَاقْرَأْ كَلَامَهُ تَعَالَى الَّذِي: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: الآية ٤٢]:

قَالَ ﷻ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ﴾ [النور: ٥٥].

أُمَّةُ الْعِبَادَةِ مَعَ التَّوْحِيدِ الْخَالِصِ: هِيَ الْأُمَّةُ الْمَوْعُودَةُ بِالِاسْتِخْلَافِ فِي الْأَرْضِ، وَالتَّمْكِينِ

فِيهَا، وَأَنْ تُبَدَّلَ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهَا أَمْنًا، مَعَ النَّصْرِ وَالْعِزَّةِ، مَعَ الِارْتِفَاعِ وَالرِّفْعَةِ: ﴿يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [النور: الآية ٥٥]، فَهَذَا هُوَ السَّبِيلُ، بَيَّنَهُ الْعَلِيُّ الْجَلِيلُ.

وَأَمَّا الْمُشْكِلَةُ الثَّانِيَةُ: وَهِيَ إِذَا كَانَ لَا بُدَّ مِنَ الْمُمَارَسَةِ السِّيَاسِيَّةِ، فَمَنْ هُمْ أَهْلُهَا؟

لَا حَاجَةَ إِلَى تَقْرِيرِ أَنَّهُ مِنَ الْمُقَرَّرِ فِي دِينِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَمِنَ الثَّابِتِ فِيهِ، الَّذِي لَا اخْتِلَافَ حَوْلَهُ، أَنَّ السِّيَاسَةَ مِنَ الدِّينِ، فَلَا حَاجَةَ إِلَى تَقْرِيرِ أَنَّ السِّيَاسَةَ مِنَ الدِّينِ.

قَالَ -جَلَّ وَعَلَا-: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ [النساء: الآية ١٠٥].

وَأَخْبَرَ أَنَّ تَعْطِيلَ الشَّرِيعَةِ اتِّبَاعٌ لِلْهَوَى، فَقَالَ

-جَلَّ وَعَلَا-: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ﴾ [المَائدة: الآية ٤٨].

فَتَعْطِيلُ الشَّرِيعَةِ، اتِّبَاعٌ لِلْهَوَى، وَلَيْسَ تَعْطِيلُ الشَّرِيعَةِ، إِلَّا جَاهِلِيَّةً مَقِيتَةً، قَالَ -جَلَّ وَعَلَا-: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المَائدة: الآية ٥٠].

وَأَمَّا سَبَبُ فَشَلِ الْحَرَكَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْيَوْمَ، فِي إِصْلَاحِ هَذَا الْفَسَادِ الْعَامِّ: فَهُوَ خَطَؤُهَا طَرِيقَ الْإِصْلَاحِ، حَيْثُ دَخَلَتِ الْمُعْتَرَكَ السِّيَاسِيَّ، وَجَعَلَتْهُ أَصْلَ عَمَلِهَا التَّغْيِيرِيِّ، مَهْمَا زَعَمَ كُلٌّ مِنْهَا سَلَامَةَ الْمَنْهَجِ، وَشُمُولِيَّةَ الدَّعْوَةِ، وَإِحْكَامَ التَّنْظِيمِ.

وَمُمَارَسَةُ السِّيَاسَةِ الْيَوْمَ عَمَلٌ لَا يَدْخُلُهُ إِلَّا مَنِ اسْتَدْرَجَهُ الشَّيْطَانُ، لِيُهْلِكَهُ فِي أَسْوَإِ الْخَوَاتِيمِ، فَأَقْنَعَهُ بِأَنَّهُ لَا يَجُوزُ تَرْكُ هَذِهِ الْوَظَائِفِ لِلْفُسَّاقِ وَالْعِلْمَانِيِّينَ، وَأَنَّهُ لَا يَجُوزُ لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَتَقَوْقَعَ حَوْلَ نَفْسِهِ، وَأَنَّ قَانُونَ فُلَانٍ الشُّيُوعِيِّ كَادَ يُطَبَّقُ فِي بِلَادٍ مَا، لَوْلَا وُجُودُ الْوَزِيرِ الْفُلَانِيِّ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ زُخْرُفِ الْقَوْلِ، الَّذِي لَمْ يُؤَسَّسْ عَلَى النَّظَرِ الشَّرْعِيِّ، بِقَدْرِ مَا أُسِّسَ عَلَى النَّظَرِ الْوَاقِعِيِّ مَعَ إِغْمَاضٍ.

إِذِ الصَّادِقُ فِي تَأَمُّلِهِ: يَرَى قَوْمًا دَخَلُوا لِيُغَيِّرُوا فَتَغَيَّرُوا، وَحُقَّ فِيهِمْ قَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أَتَى بَابَ السُّلْطَانِ افْتُتِنَ»[1]، رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَأَبُو دَاوُدَ،

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٨٦١)، والترمذي (٢٢٥٦)، والنسائي (٤٣٠٩)، وأحمد (٣٣٦٢)، والبيهقي في الشعب (٧/ ٤٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦١٢٤).

التِّرْمِذِيُّ، وَالنَّسَائِيُّ، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «الشُّعَبِ»، وَهُوَ
صَحِيحٌ.

وَدَلِيلُ الْمَنْعِ مِنْ مُخَالَطَتِهِمْ عِنْدَ مُمَارَسَتِهِمْ
سِيَاسَتِهِمُ الْجَائِرَةِ: هُوَ قَوْلُ اللَّهِ -جَلَّ وَعَلَا-:
﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ
بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ
غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ﴾ -وَقَدَّمَهُمْ
فِي الذِّكْرِ- ﴿وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٤٠]،
نَسْأَلُ اللَّهَ السَّلَامَةَ وَالْعَافِيَةَ.

عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ قَالَ: كَانَ سَعْدُ
بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ فِي إِبِلِهِ، فَجَاءَهُ ابْنُهُ عُمَرُ، فَلَمَّا رَآهُ
سَعْدٌ قَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ هَذَا الرَّاكِبِ، فَنَزَلَ
فَقَالَ لَهُ: أَنَزَلْتَ فِي إِبِلِكَ وَغَنَمِكَ، وَتَرَكْتَ النَّاسَ

يَتَنَازَعُونَ الْمُلْكَ بَيْنَهُمْ، فَضَرَبَ سَعْدٌ فِي صَدْرِهِ فَقَالَ: اسْكُتْ؛ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ الْغَنِيَّ الْخَفِيَّ»[1] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

إِذَا تَعَارَضَتْ مَصْلَحَتُكَ الدِّينِيَّةُ مَعَ مَصْلَحَةِ غَيْرِكَ، فَقَدِّمْ مَصْلَحَتَكَ، مَا دَامَ فِي الْجَمْعِ بَيْنَهُمَا خِيفَةٌ عَلَى النَّفْسِ.

قَالَ رَبُّنَا -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ [المَائدة: ١٠٥].

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ ذَكَرُوا الْفِتْنَةَ، أَوْ ذُكِرَتْ عِنْدَهُ، قَالَ: «إِذَا رَأَيْتَ النَّاسَ قَدْ مَرِجَتْ عُهُودُهُمْ وَخَفَّتْ أَمَانَاتُهُمْ، وَكَانُوا هَكَذَا» وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ، قَالَ:

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٦٥).

قُمْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ لَهُ: كَيْفَ أَفْعَلُ عِنْدَ ذَلِكَ، جَعَلَنِي للَّهُ فِدَاكَ؟ قَالَ: «الزَمْ بَيْتَكَ وَامْلِكْ لِسَانَكَ، وَخُذْ مَا عْرِفُ وَدَعْ مَا تُنْكِرُ، وَعَلَيْكَ بِأَمْرِ خَاصَّةِ نَفْسِكَ، وَدَعْ نْكَ أَمْرَ الْعَامَّةِ»[1]، رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ وَالْحَاكِمُ. هُو صَحِيحٌ.

فَإِنْ قِيلَ: وَلَكِنَّ الْمُجْتَمَعَ بِحَاجَةٍ إِلَى تِلْكَ لْمَنَاصِبِ؟

فَالْجَوَابُ: نَعَمْ؛ وَلَكِنْ بِشَرْطِ أَلَّا يَمْتَهِنَ الْمَرْءُ بيهَا دِينَهُ؛ لِأَنَّهُ إِنْ رَضِيَ لِنَفْسِهِ أَنْ يَكُونَ حَطَبَ جَهَنَّمَ، فِي سَبِيلِ إِنْقَاذِ غَيْرِهِ، فَإِنَّ لَهُ أُسْوَةً بِمَنْ قَالَ فِيهِ

---

(1) أخرجه أبو داود (٤٣٤٥)، وأحمد (٦٩٨٧)، والنسائي في الكبرى (٩٩٦٢)، والحاكم (٤/ ٢٨٣)، وقال الألباني: «حسن صحيح»، وانظر: الصحيحة (٢٠٥ و ٨٨٨ و ١٥٣٥).

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَابُدَّ لِلنَّاسِ مِنْ عَرِيفٍ، وَالْعَرِيفُ فِي النَّارِ»[1] رَوَاهُ أَبُو الشَّيْخِ فِي «طَبَقَاتِ الْأَصْبَهَانِيِّينَ»، وَرَوَاهُ غَيْرُهُ وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ كَمَا فِي «السِّلْسِلَةِ الصَّحِيحَةِ».

«لَابُدَّ لِلنَّاسِ مِنْ عَرِيفٍ، وَالْعَرِيفُ فِي النَّارِ»: وَمَعْنَاهُ أَنَّ مَنْ لَمْ يُمْكِنْهُ، أَنْ يَخْطَى فِي عَمَلِهِ إِلَّا بِمَفْسَدَةٍ مَحْضَةٍ أَوْ رَاجِحَةٍ، وَرَأَى دِينَهُ إِلَى نُقْصَانٍ، كَأَنْ يُضْطَرَّ إِلَى تَرْكِ الْوَاجِبَاتِ، فَلْيُسَارِعْ إِلَى إِنْقَاذِ نَفْسِهِ، حَتَّى لَا يَكُونَ جِسْرًا يُقْطَعُ بِهِ إِلَى الْجَنَّةِ، وَعِنْدَ الْبَابِ -بَابِ الْجَنَّةِ- تَقَعُ الْفُرْقَةُ!

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٢٧٢٤٩)، وأبو يعلى (١٤٨١)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٢/ ٦٤٢)، وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع (٧١٨٥)، والصحيحة (١٤١٧).

نَسْأَلُ اللَّهَ السَّلَامَةَ وَالْعَافِيَةَ.

وَيَكْفِيهِ فِي قَضَاءِ حَوَائِجِهِ: هَؤُلَاءِ الْعُرَفَاءُ الَّذِينَ لَا يَخْلُو مِنْهُمْ مُجْتَمَعٌ، وَإِنْ كَانُوا عَلَى الْوَصْفِ الَّذِي سَبَقَ فِي حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، لِأَنَّهُ لَيْسَ كُلُّ مَا يَنْبَغِي أَنْ يُوجَدَ، يَجِبُ أَنْ تَكُونَ عُضْوًا فِيهِ، أَوْ إِحْدَى أَدَوَاتِهِ، لَيْسَ كُلُّ مَا يَنْبَغِي أَنْ يُوجَدَ، يَجِبُ أَنْ تَكُونَ أَنْتَ عُضْوًا فِيهِ، أَوْ تَكُونَ إِحْدَى أَدَوَاتِهِ.

أَوَمَا رَأَيْتَ مَا جَاءَ فِي الصَّحِيحَيْنِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ لَيُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ»[1]؟!

فَإِنْ قِيلَ: وَمَنْ يَقْضِي لَكُمْ حَوَائِجَكُمْ إِنْ شَحَّ الْعُرَفَاءُ؟

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٦٢، ٤٢٠٣، ٦٦٠٦)، ومسلم (١١١).

الْجَوَابُ: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: الآية ٣] ، هَذَا الْحُكْمُ تَابِعٌ لِبِيئَةٍ قَدْ تَمَحَّضَ فِيهَا الشَّرُّ أَوْ رَجَحَ، وَلَيْسَ هَذَا بِمُدْلٍ وَلَا هُو بِآيِلٍ إِلَى عَدَمِ النَّصِيحَةِ لِوُلَاةِ الْأُمُورِ بِالطَّرِيقِ الْمَشْرُوعِ، وَكَذَلِكَ يَقَعُ مِمَّنْ يَنْفَعُ اللَّهُ بِهِ، مِمَّنْ يُعِينُ عَلَى الْخَيْرِ، وَقَدْ فَعَلَ ذَلِكَ يُوسِفُ عليه السلام مِنْ قَبْلُ، حِينَ قَالَ: ﴿ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يُوسُف: الآية ٥٥] .

كَمَا أَنَّ سِيرَةَ السَّلَفِ فِي الْإِخلَاصِ فِي النَّصِيحَةِ لِوُلَاةِ الْأُمُورِ وَعَدَمِ غِشِّهِمْ فِيهَا مَعْرُوفَةٌ، وَإِنَّمَا التَّحْذِيرُ مِنْ سِيَاسَةِ مَدِّ الْجُسُورِ، الَّتِي عِنْدَ الْإِخْوَانِ الْمُسْلِمِينَ!!

أَوَمَا رَأَيْتُمْ مَا أَصَابَهُمْ مِنْ رِقَّةِ دِينٍ وَفِتْنَةٍ فِيهِ، هَذَا وَهُمْ مِنْ أَغَشِّ عِبَادِ اللَّهِ لِحُكَّامِهِمْ، فِي الْوَقْتِ الَّذِي

ظْهِرُونَ لَهُمُ التَّجَاوُبَ التَّامَّ مَعَ الْأَوَامِرِ، بِدَلِيلِ أَنَّهُمْ
ـا يَجِدُونَ فُرْصَةً لِلِانْقِضَاضِ عَلَى سُلْطَانِهِمْ
لَا فَعَلُوا، إِمَّا بِبَيْعَاتٍ وَإِمَّا بِتَحَزُّبَاتٍ، وَإِمَّا بِانْتِهَازِ
وْقَاتِ الثَّوْرَاتِ، إِلَى آخِرِ السِّلْسِلَةِ الْمَلْعُونَةِ[1].

فَيَنْبَغِي عَلَيْكَ أَنْ تَفْزَعَ إِلَى كِتَابِ رَبِّكَ، وَسُنَّةِ نَبِيِّكَ ﷺ، النَّاسُ لَا غِنَى لَهُمْ عَنْ شَرِيعَةِ اللَّهِ، وَحَاجَةُ لنَّاسِ إِلَى الشَّرِيعَةِ ضَرُورِيَّةٌ فَوْقَ حَاجَتِهِمْ إِلَى كُلِّ شَيْءٍ، وَلَا نِسْبَةَ لِحَاجَتِهِمْ إِلَى عِلْمِ الطِّبِّ إِلَيْهَا.

أَلَا تَرَى أَنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ يَعِيشُونَ بِغَيْرِ طَبِيبٍ، وَلَا يَكُونُ الطَّبِيبُ إِلَّا فِي بَعْضِ الْمُدُنِ الْجَامِعَةِ.

وَأَمَّا أَهْلُ الْبَدْوِ كُلُّهُمْ، وَأَهْلُ الْكُفُورِ كُلُّهُمْ،

---

(١) انظر: «مدارك النظر» (ص١٨٢، وما بعدها).

وَعَامَّةُ بَنِي آدَمَ، فَلَا يَحْتَاجُونَ إِلَى طَبِيبٍ، وَهُمْ أَصَحُّ أَبْدَانًا وَأَقْوَى طَبِيعَةً، مِمَّنْ هُوَ مُتَقَيِّدٌ بِطَبِيبٍ، وَلَعَلَّ أَعْمَارَهُمْ مُتَقَارِبَةٌ.

وَقَدْ فَطَرَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بَنِي آدَمَ، عَلَى تَنَاوُلِ مَا يَنْفَعُهُمْ وَاجْتِنَابِ مَا يَضُرُّهُمْ، وَجَعَلَ لِكُلِّ قَوْمٍ عَادَةً وَعُرْفًا فِي اسْتِخْرَاجِ مَا يَهْجُمُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْأَدْوَاءِ، حَتَّى إِنَّ كَثِيرًا مِنْ أُصُولِ الطِّبِّ، إِنَّمَا أُخِذَتْ عَنْ عَوَائِدِ النَّاسِ وَعُرْفِهِمْ وَتَجَارِبِهِمْ.

وَأَمَّا الشَّرِيعَةُ: فَمَبْنَاهَا عَلَى تَعْرِيفِ مَوَاقِعِ رِضَا اللَّهِ وَسَخَطِهِ فِي حَرَكَاتِ الْعِبَادِ الِاخْتِيَارِيَّةِ، فَمَبْنَاهَا عَلَى الْوَحْيِ الْمَحْضِ، عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

الْحَاجَةُ إِلَى الشَّرِيعَةِ أَشَدُّ مِنَ الْحَاجَةِ إِلَى النَّفَسِ،

فَضْلًا عَنِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، لِأَنَّ غَايَةَ مَا يُقَدَّرُ فِي عَدَمِ التَّنَفُّسِ وَالطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، مَوْتُ الْبَدَنِ وَتَعَطُّلُ الرُّوحِ مِنْهُ، وَأَمَّا مَا يُقَدَّرُ عِنْدَ عَدَمِ الشَّرِيعَةِ فَفَسَادُ الرُّوحِ وَالْقَلْبِ جُمْلَةً وَهَلَاكُ الْأَبَد، وَشَتَّانَ مَا بَيْنَ هَذَا، وَهَلَاكِ الْبَدَنِ بِالْمَوْتِ، فَلَيْسَ النَّاسُ قَطُّ إِلَى شَيْءٍ أَحْوَجَ مِنْهُمْ، إِلَى مَعْرِفَةِ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ[1]، النَّاسُ يَحْتَاجُونَ إِلَى مَعْرِفَةِ مَا جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ، لَا يَحْتَاجُونَ إِلَى مَا أَسَّسَهُ (ماركِس)، وَلَا (أنجلز)، وَلَا اللِّيبْرالِيُّونَ وَلَا الدِّيمُقْرَاطِيُّونَ.

لَا نَحْتَاجُ نَحْنُ إِلَّا إِلَى كِتَابِ اللَّهِ، وَسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

فَإِنْ عَرَفْنَا ذَلِكَ، وَاعْتَقَدْنَاهُ وَعَمِلْنَا بِهِ وَدَعَوْنَا إِلَيْهِ،

---

(١) انظر: «مفتاح دار السعادة» (٢/ ٣١٨).

وَتَمَسَّكْنَا بِهِ وَجَاهَدْنَا عَلَيْهِ، رَفَعَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فَوْقَ السَّحَابِ، وَجَعَلَنَا اللَّهُ -جَلَّ وَعَلَا- فَوْقَ هَامَاتِ الْأُمَمِ، وَأَذَلَّ اللَّهُ تَعَالَى بِأَهْلِ الْإِسْلَامِ، أَهْلَ الشِّرْكِ فِي كُلِّ مَكَانٍ.

لَيْسَ النَّاسُ قَطُّ إِلَى شَيْءٍ أَحْوَجَ مِنْهُمْ، إِلَى مَعْرِفَةِ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ وَالْقِيَامِ بِهِ وَالدَّعْوَةِ إِلَيْهِ وَالصَّبْرِ عَلَيْهِ، وَجِهَادِ مَنْ خَرَجَ عَنْهُ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْهِ، وَلَيْسَ لِلْعَالَمِ صَلَاحٌ بِدُونِ ذَلِكَ أَلْبَتَّةَ، وَلَا سَبِيلَ إِلَى الْوُصُولِ إِلَى السَّعَادَةِ وَالْفَوْزِ الْأَكْبَرِ، إِلَّا بِالْعُبُورِ عَلَى هَذَا الْجِسْرِ، فَكُلُّ مَنْ دَلَّ عَلَى غَيْرِ هَذَا السَّبِيلِ، فَهُوَ ضَالٌّ مُضِلٌّ، فَهُوَ غَوِيٌّ مَارِقٌ، إِنَّمَا يُرِيدُ أَنْ يَحْرِفَ الْأُمَّةَ عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ تَقُومَ عَلَيْهِ.

وَاعْلَمُوا يَا عِبَادَ اللَّهِ، أَنَّ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ جَعَلَ مِنْ سُنَّتِهِ فِي خَلْقِهِ، وَجَعَلَ تَعَالَى مِنْ حِكْمَتِهِ فِي

النَّاسِ أَنْ جَعَلَ مُلُوكَ الْعِبَادِ وَأُمَرَاءَهُمْ وَوُلَاتَهُمْ مِنْ جِنْسِ أَعْمَالِهِمْ، بَلْ كَأَنَّ أَعْمَالَهُمْ ظَهَرَتْ فِي صُورِ وُلَاتِهِمْ وَمُلُوكِهِمْ، فَإِنِ اسْتَقَامُوا اسْتَقَامَتْ مُلُوكُهُمْ، وَإِنْ عَدَلُوا عَدَلَتْ عَلَيْهِمْ، وَإِنْ جَارُوا جَارَتْ مُلُوكُهُمْ وَوُلَاتُهُمْ، وَإِنْ ظَهَرَ فِيهِمْ الْمَكْرُ وَالْخَدِيعَةُ فَوُلَاتُهُمْ كَذَلِكَ، وَإِنْ مَنَعُوا حُقُوقَ اللَّهِ لَدَيْهِمْ وَبَخِلُوا بِهَا، مَنَعَتْ مُلُوكُهُمْ وَوُلَاتُهُمْ، مَا لَهُمْ عِنْدَهُمْ مِنَ الْحَقِّ وَبَخِلُوا بِهِ عَلَيْهِمْ، وَإِنْ أَخَذُوا -أَيْ: أَخَذَتِ الرَّعِيَّةُ- مِمَّنْ يَسْتَضْعِفُونَهُ مَا لَا يَسْتَحِقُّونَهُ فِي مُعَامَلَتِهِمْ، أَخَذَتْ مِنْهُمُ الْمُلُوكُ، مَا لَا يَسْتَحِقُّونَه، وَضَرَبَتْ عَلَيْهِمُ الْمُكُوسُ وَالْوَظَائِفَ وَالضَّرَائِبَ، وَكُلُّ مَا يَسْتَخْرِجُونَهُ مِنَ الضَّعِيفِ، يَسْتَخْرِجُهُ الْمُلُوكُ مِنْهُمْ بِالْقُوَّةِ، فَعُمَّالُهُمْ ظَهَرَتْ فِي صُورِ أَعْمَالِهِمْ، وَلَيْسَ فِي الْحِكْمَةِ الْإِلَهِيَّةِ أَنْ يُوَلِّيَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ عَلَى

الْأَشْرَارِ الْفُجَّارِ، إِلَّا مَنْ يَكُونُ مِنْ جِنْسِهِمْ.

وَلَمَّا كَانَ الصَّدْرُ الْأَوَّلُ خِيارَ الْقُرُونِ وَأَبَرَّهَا، كَانَتْ وُلَاتُهُمْ كَذَلِكَ، فَلَمَّا شَابُوا شَابَتْ لَهُمُ الْوُلَاةُ.

فَحِكْمَةُ اللَّهِ تَأْبَى أَنْ يُولَّى عَلَيْنَا فِي مِثْلِ هَذِهِ الْأَزْمَانِ مِثْلُ مُعَاوِيَةَ، وَعُمَرُ بِنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، فَضْلًا عَنْ مِثْلِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، بَلْ وُلَاتُنَا عَلَى قَدْرِنَا، فَعَلَيْنَا أَنْ نُصْلِحَ أَنْفُسَنَا؛ لِأَنَّ وُلَاتَنَا عَلَى قَدْرِنَا، وَوُلَاةُ مَنْ قَبْلَنَا عَلَى قَدْرِهِمْ، وَكُلٌّ مِنَ الْأَمْرَيْنِ جَارٍ عَلَى مُقْتَضَى الْحِكْمَةِ الْإِلَهِيَّةِ، وَاللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ هُو الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ»[1].

فَاحْذَرِ التَّلْبِيسَ وَالتَّدْلِيسَ.

احْذَرْ أَنْ تَدْخُلَ فِيمَا لَيْسَ لَكَ فِيهِ مَدْخَلٌ، وَأَنْ تَتَكَلَّمَ

(١) انظر: «مفتاح دار السعادة» (٢/ ١٧٧).

فِيمَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ، فَإِنَّ الْمَرْءَ إِذَا تَكَلَّمَ فِي غَيْرِ فَنِّهِ أَتَى بِالْعَجَائِبِ، مَنْ تَكَلَّمَ فِي غَيْرِ فَنِّهِ أَتَى بِالْعَجَائِبِ، وَأَنْتَ الْيَوْمَ تَرَى كَثِيرًا مِمَّنِ اسْتُزِلُّوا عَنْ مَنْهَجِ السَّلَفِ، وَكَانَ بَعْضُهُمْ قَبْلُ عَلَيْهِ قَائِمًا وَإِلَيْهِ دَاعِيًا، فَصَارَ دَاعِيًا إِلَى ضِدِّهِ، وَقَائِمًا عَلَى نَقِيضِهِ وَاسْتَزَلَّهُ الشَّيْطَانُ الرَّجِيمُ، وَإِخْوَةٌ لَهُ يُقَارِبُونَهُ يَتَكَلَّمُونَ فِيمَا لَا يُحْسِنُونَ، وَلَهُمْ عِنْدَنَا مِثَالٌ مَضْرُوبٌ.

أُولَئِكَ شُيُوخُ الصَّامُولَةِ: كُنَّا فِي عَهْدِ الصِّبَا فِي السِّتِّينِيَّاتِ، كَانَتْ قُلُوبُنَا -خِدَاعًا وَمَكْرًا مِنْ غَيْرِنَا- تَصْبُو إِلَى الْمُعَسْكَرِ الشَّرْقِيِّ، وَتَنْأَى عَنِ الْمُعَسْكَرِ الْغَرْبِيِّ، لِأَنَّ الَّذِينَ كَانُوا يَقُومُونَ عَلَى الْأَمْرِ يَوْمَئِذٍ، كَانُوا يَرْتَمُونَ فِي أَحْضَانِ الْمُعَسْكَرِ الشُّيُوعِيِّ، فَكَانَ الْإِعْلَامُ يُوجِّهُ إِلَى ذَلِكَ الْمُعَسْكَرِ، وَيُبَغِّضُ فِي الْمُعَسْكَرِ الْغَرْبِيِّ، -وَكِلَاهُمَا فِي السُّوءِ سَوَاءٌ-،

كَذَلِكَ كُنَّا فِي الصِّبَا، فَكُنَّا نَتَمَنَّى دَائِمًا عُلُوَّ الْمُعَسْكَرِ الشَّرْقِيِّ عَلَى الْمُعَسْكَرِ الْغَرْبِيِّ، قَامَ الْمُعَسْكَرُ الشَّرْقِيُّ الشُّيُوعِيُّ بِإِطْلَاقِ مَا عُرِفَ بِسُفُنِ الْفَضَاءِ، فَابْتَهَجَتْ نُفُوسٌ، فَمَا هِيَ إِلَّا بُرْهَةٌ، حَتَّى اسْتَطَاعَ الْمُعَسْكَرُ الْغَرْبِيُّ إِطْلَاقَ سُفُنِ فَضَاءٍ أَيْضًا.

قَالَ لِي بَعْضُ الْحُكَمَاءِ مِنَ الْفَلَّاحِينَ، وَكَانَ فَصِيحًا مِمَّنْ يُقَالُ لَهُ: الْفَلَّاحُ الْفَصِيحُ: تَعْرِفُ يَا فُلَانُ! قُلْتُ: إِي نَعَمْ يَا عَمِّ الْحَاجِّ مَا ذَاكَ؟

فَقَالَ: لَقَدْ أَطْلَقَ الْغَرْبُ -يَعْنِي: أَمْرِيكَا- سَفِينَةَ فَضَاءٍ! فَامْتَعَضْتُ.

قَالَ: أَبْشِرْ، لَقَدْ تَعَطَّلَتْ فِي الْفَضَاءِ.

قُلْتُ: وَمَا صَنَعُوا؟

قَالَ: لَمْ يَجِدُوا أَمَامَهُمْ مِنْ سَبِيلٍ، إِلَّا أَنْ يَسْتَغِيثُوا بِالرُّوسِ.

قُلْتُ: وَهَلْ أَجَابُوهُمْ؟

قَالَ: إِي نَعَمْ، أَرْيَحِيَّةً وَنَجْدَةً.

قُلْتُ: فَمَا صَنَعُوا؟

قَالَ: أَرْسَلُوا سَفِينَةَ فَضَاءٍ لِإِصْلَاحِ الْعَاطِبَةِ الَّتِي مُتُّ إِلَى مُعَسْكَرِ الْغَرْبِ.

قُلْتُ: وَأَصْلَحَتْهَا؟

قَالَ: نَعَمْ أَصْلَحَتْهَا فِي ثَوَانٍ!!

قُلْتُ: وَمَا كَانَ بِهَا مِنْ عَطَبٍ؟

قَالَ: مَا وَجَدُوا إِلَّا شَيْئًا يَسِيرًا، كَانَتْ هُنَالِكَ صَامُولَةٌ قَدْ فُكَّتْ فَأَرَّطُوا عَلَيْهَا!!» -كَذَا قَالَ-.

الشُّيُوخُ الَّذِينَ يَتَكَلَّمُونَ فِي السِيَاسَةِ الْآنَ مِنْ شُيُوخِ الصَّامُولَةِ.

لِلسِّيَاسَةِ رِجَالُهَا، وَيَنْبَغِي عَلَيْنَا أَنْ نُبَيِّنَ التَّوْحِيدَ

وَالِاتِّبَاعَ لِلْأُمَّةِ، وَأَنْ نَبْدَأَ بِالْإِصْلَاحِ الْعَقَدِيِّ، لَا الْإِصْلَاحِ السِّيَاسِيِّ، وَإِلَّا تَنَكَّبْنَا سَبِيلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَاحْذَرْ أَنْ تَكُونَ مِنْ شُيُوخِ الصَّامُولَةِ.

وَاللَّهُ يَرْعَاكَ وَيَحْفَظُكَ.

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ.

* * *

أُلْقِيَتْ هَذِهِ الْخُطْبَةُ بِحَوْلِ اللَّهِ وَقُوَّتِهِ فِي:

يَوْمِ الْجُمُعَةِ : ٢٧مِنْ رَبِيعِ الثَّانِي ١٤٣٢هـ

الْمُوافِق: ١-٤-٢٠١١م

بِالمَسْجِدِ الشَّرْقِيِّ، بِسُبْكِ الْأَحَدِ مِنْ أَعْمَالِ مُدِيرِيَّةِ الْمُنُوفِيَّةِ، بِمِصْرَ -حَرَسَهَا اللَّهُ تَعَالَى-

* * *

فِهْرِسُ الْمَوْضُوعَاتِ

* * *

www.rslan.com

فضيلة الشيخ

أبي عبد الله محمد بن سعيد رسلان

حفظه الله تعالى





الدار الأثرية

للنشر والتوزيع

01510239575
تصميم هشام حسن